سلسلة تفريغات شبكة بينونة

شرح كتاب التوبة

من مختصر صحيح مسلم

الشيخ حامد بن خميس الجنيبي

www.baynoona.net
@baynoonanetUAE
@baynoonanet

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لشرح

كتاب التوبة

من مختصر صحيح مسلم

للحافظ المنذري

- رحمه الله تعالى -

للشيخ

حامد بن خميس الجنيبي

- حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مظل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ إن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسوله.

أمَّا بعد ..

فمرحبًا بكم جميعاً في هذه المجالس، واسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لي ولكم الإخلاص والقبول، وأن يُمَتِّعَنا في هذه الحياة الدنيا بما رزقنا سبحانه من الإيمان به، والتصديق بكتابه، وأن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، على الطريق الصحيح المستقيم، لا نحيد عن ذلك، ونكون كما أمر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعالى من التمسك بالتوحيد والسُّنة، والسير على ذلك، إلى أن نلقى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعالى غير مُبْدِلين ولا مُغَيِّرين ولا ناكِسين على أعقابنا، واسأل الله تعالى أن يبارك لنا في هذه المجالس، واسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يسدد لساني وأقوالي، وأن يسدد أسماعكم وأفهامكم لسماع ما فيه الخير لي ولكم إن شاء الله في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة أنه على كل شيءٍ قدير.

نشرع بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في كتاب التوبة من مُختصر صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري رَحِمه الله تعالى، والذي اختصره الإمام المُنذري، وأعاد ترتيبه، وحسَّن ذلك وجوَّده رَحِمه الله تعالى رحمة واسعة من عنده.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا، أعني كتاب التوبة، فيه أحاديث عظيمة جاءت عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، تُبين شأن التوبة ومنزلتها، ومحبة الله عز وجل لها، وفي ذلك إشارة إلى مسألة مهمة؛ وهي أن كثيراً من النَّاس قد غفل غفلة شديدة عن النظر في ما يتعلق بإصلاح القلب، والعبد المؤمن يعلم أن أصل الصلاح في دينه هو في إصلاح القلب، كما قال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ [(١)]» فصلاحُ ظاهرك مبنيٌّ على صلاح باطنك، وإذا علمت هذا المعنى تعلم أن مدار التوحيد وصحته، هو على هذه القضية المهمة وهي صلاح القلب، فلا يستقيم توحيد العبد استقامةً صحيحةً إلا باستقامة قلبه استقامة صحيحة، وهذا أدلته كثيرة من القرآن ومن السُّنَّة، قد جاء في أوضح بيان، ولعل من أشهر ما تعرفونه: قول النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ

١ – مُتَّفقٌ عليه: البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

وَسَلَّم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ[١]» أي ثلاثة أمور إذا وجدت عند العبد وجد بهن حلاوة الإيمان ولذة الإيمان، وأولها: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا؛ ومحبة الله، ومحبة الرسول كما تعلمون بارك الله فيكم، هي عبادة قلبية، وهي أصل التوحيد الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فإن العبد لا يُمكن أن يعبد الله عبادة صحيحة إلا وفي قلبه شيء من محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وإلا فما كانت تلك عبادة صحيحة لله.

***

---

١ – مُتَّفقٌ عليه: البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

كتاب التوبة وفضلها وسعة رحمة الله وغير ذلك.

أوَّلاً من باب الفائدة؛ كُتب الحديث المُسندة تُقسَّم غالباً إلى كُتب، وهذه الكُتب تُقسَّمُ إلى أبواب، وقد تُقسَّمُ الأبوابُ أحياناً إلى فُصول، وهذا غالباً يكون خارج كُتب الحديث، وقد تُقسَّم الفصول إلى مباحِث، وإلى مسائل.

الكِتابُ: اسم لما جُمع من الكلمات وأولِّف بينها، يعني مُزجت على هذا النحو الذي بين أيدينا.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو أحد الكُتب التي ذكرها الإمامُ مسلم في صحيحه.

التوبة في اللغة وفي الشرع أيضاً: هي الرجوع عن الذنب، تقول: تاب الرجل إلى الله إذا رجع وأناب. وتقول: تاب الله عليه، إذا عاد عليه بالمغفرة، ويسر له أسبابها.

فهو رَحِمه الله سيتكلم في هذا الكتاب عن التوبة، وفضلها، وعن قبولها، وعن سعة رحمة الله عز وجل، ورحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وسِعت كل شيء، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعالى في كتابه: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ[١]}.

وستأتي أيضاً بعض الفوائد في ضمن هذه الأحاديث التي تتعلق بجانب إصلاح القلب، وما يتعلق بالتوبة وتوابعها.

---

١ – الأعراف: «١٥٦».

باب: في الأمر بالتوبة

١٩١٦ - عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ سَمِعْتُ الْأَغَرَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ.

أي أن هذا بابٌ سنوضح فيه الأمر بالتوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وذكر تحته حديث الأغر، وهذا حديث عظيم، استفتح به المُصنف رَحِمه الله هذا الكتاب.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ بدايته نداء من النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وهو نداء عام لجميع النَّاس، وإن كان المقصد منه في حينه أصحابه رضي الله عنهم الذين كانوا حضوراً، والنداء من المتكلم يلفت انتباه السامع إلى ما سيُلقى عليه من العلم.

تُوبُوا إِلَى اللهِ؛ ولما لفت انتباههم صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى ما سيُلقيه عليهم؛ أمرهم بالتوبة، ومن المُتقرر أن الأمر المُطلق يفيد الوجوب، فإذا جاء الأمر في الكتاب وفي السُّنَّة ولم يأتِ ما يصرفهُ عن الوجوب فإن الأصل فيه الوجوب؛ أي أنه لازمٌ أن يُعمل به.

وقد نقل النووي رَحِمه الله: إجماع الأُمة على وجوب التوبة [١].

فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ أي يَا أَيُّهَا النَّاس توبوا وأنيبوا الى ربكم، فَإِنِّي؛ أي رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ فلما كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أُسوة النَّاس وقدوتهم، وهم يتبعونه على شريعته ويسيرون على ذلك، أوضح لهم أن ما يأمرهم به فهو يفعله، وأخبرهم بأنه يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة، فإذا كانت توبة خير النَّاس وأفضلهم وأكملهم في اليوم مائة مرة مع إخباره صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بأنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر [٢]، فكيف يكون حال من بعده وهو لا يدري هل غفر له ما تقدم من ذنبه، ولا يدري هل سيُغفر له ما سيأتي من ذنبه.

وهُنا لطيفة؛ التوبة ليست متعلقة بفعل الذنوب فقط، لأن التوبة لها مُتَعَلَّق في قلوب الصالحين، ومُتَعَلَّقها العبودية لله عز وجل، وكلما كان

---

١ - قال في: «رياض الصالحين» (١/ ٣٤):وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكتَابِ، والسُّنَّةِ، وإجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبةِ

٢ - قال تعالى: {لِّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا} الفتح «٢». وأخرج: البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠): عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ الله أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»

الإنسان أعبد لله كان أرغب في التوبة إلى الله، ورسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان أعبد النَّاس لله، فقامت تلك العبودية في قلبه، فجاء بمقام الإحسان الذي جاء في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، لما سأل النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عن الاسلام، ثم سأله عن الإيمان، ثم سأله: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ [١]» فإما أن تعبد الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإن لم يتحقق لك ذلك؛ فتعبد الله وأنت تعلم أَنَّهُ يَرَاكَ؛ فهو مرتبتان ومنزلتان:

الأُوْلى: تعبد الله وأنت تُريد أن يطَّلع الله عز وجل على كمال عبادتك.

الثانية: تعبد الله وتخاف أن يطَّلع الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على نقصٍ في عبادتك.

ففي الحديث الذي ذكره المُصنف رَحِمه الله عدَّة فوائد منها؛ عِظم شأن التوبة، وشدة حرص النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عليها، وقد ورد في حديث ابن عمر رَضِي الله عَنْهما في صيغة هذا الاستغفار فقال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ،

---

١ - أخرجه: البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ[١]» وفي هذا الحديث أيضاً مصداق قول الله عز وجل: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [٢]} فالنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان أخشى النَّاس لله، لأنه أعلم النَّاس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وأكملهم عبودية لربه عز وجل[٣].

وفي هذا الحديث أيضاً؛ حرص العالم على شيوع التوبة بين النَّاس لما في ذلك من الخير على الإنسان في نفسه، وفي غيره، وفي البلاد، وقد جاء في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قول هود عليه السلام لقومه عاد: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ [٤]} فالتوبة من أسباب نزول المطر، فيكون فيه النفع للعباد والبلاد، وقوة البدن بركة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

---

١ – أخرجه: الترمذي (٣٤٣٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ» وأبو داود (١٥١٦) بلفظ: «الرَّحيم» وصححه الألباني في: «صحيح أبي داود» و«صحيح الترمذي».

٢ – فاطر: «٢٨».

٣ – من ذلك ما أخرجه البخاري (٦١٠١) عن عائشة رَضِي الله عَنْها مرفوعاً: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»

٤ – هود: «٥٢».

للتوبة أربعة شروط:

الأول: الندم على ما مضى؛ وفيه حديث النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ [١]».

الثاني: العزم على الإقلاع عن الذنب؛ قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ [٢]}.

الثالث: العزم على أن لا يرجع إلى الذنب؛ فيعزم على أن لا يرجع مرة أُخْرى إلى الذنب، وهذا فيه الحديث الذي مر معنا: ««ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» ففي آخره: «وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

الرابع: رَدُّ المَظالِمِ الى أهلها، والتحلل من أصحابها؛ فمثلاً؛ لو أخذ شيئاً من مال أخيه بغير حق فيُرجعه إليه. ومثلاً؛ إذا شتم أخاه فيتحلل من أخيه ويتأسف له، فإن عفى عنه فخير، وإن لم يعف عنه فما أمامه إلا الاستغفار والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقضي بين عباده يوم القيامة.

---

١ - أخرجه: أحمد (٤٠١٢)، وصححه الألباني في: «التعليقات الحِسان» (٦١١).

٢ - آل عِمران: «١٣٥».

بابٌ: الحض على التوبة

١٩١٧ - عَنْ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ثُمَّ قَالَ أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ.

أي هذا بابٌ فيه ذكر الحض على التوبة.

ثم ذكر الحديث وفيه: أن الحارث بن سويد دخل على عبد الله بن مسعود يزوره حال مرضه، قال: فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ حَدِيثا عَنْ نَفْسِهِ؛ وهو قوله رَضِي الله عَنْهُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ

الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ (١). فالمنافق يرى الذنوب فلا يكترث لها، نسأل الله السلامة والعافية.

وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ"؛ والنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يُخبر هنا عن فرح الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بعبده التائب، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يفرح إذا أقبل إليه عباده، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى غني عنا، ولا يحتاج إلينا، ومع ذلك يتودد إلينا بالتوبة؛ أن نتوب ونرجع إليه، ونحن المحتاجون إلى الله، فما أعظم رحمته، وما أوسع فضله، يُكرمنا ويعطينا ويسبغ علينا، ويفتح علينا من أفضاله ونعمه، ونحن نُدْبر عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بفعل الذنوب والمعاصي وترك الطاعات، وترك الإقبال على الله، ومع ذلك ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعالى يتودد إلينا فيُرغبنا بالتوبة، ويُرغبنا بالرجوع إليه، وتأمَّل في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ (٢)} فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يعلم ما عند

---

١ - أخرجه: البخاري (٦٣٠٨).

٢ - الكهف: «٥٨». وقال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ} «النحل: ٦١» وقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} «الرعد: ٦»

عباده من الذنوب والمعاصي، ومع ذلك لم يُعاجلهم بالأخذ بل يؤخرهم ويرجئهم فَلَعَلَّ العبد أن يتوب ويرجع إلى ربه، فلعله أن يراجع نفسه قبل أن يدركه الأجل فعندها لا تنفع التوبة، نسأل الله أن يعافينا ويعطينا من فضله، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يفرح بتوبة العبد، وفرحه سُبْحَانَهُ وَتَعالى ليس كفرح عباده {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ[1]} وأهل السُّنَّة يثبتون لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى صفة الفرح، ويسكتون عن كيفيتها، فقد جاء الخبر عن الله تبارك وتعالى، وعن رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يفرح فنؤمن بهذا الخبر مصدقين غير معطلين ولا مشبهين ولا مُكيفين فهو فرح يليق بكمال الله وجماله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يفرح مع غناه، وفرحه سُبْحَانَهُ وَتَعالى أشد من فرح هذا العبد الذي ستأتي معنا قصته إن شاء الله.

"مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ"؛ الأرض الدوية هي الأرض الفلاة التي ليس فيها شجر ولا زرع، وقيل دوية من الدوي أي أن الصوت يتردد فيها، والمَهْلَكَة، والمَهْلِكة بالكسر سُمِّيَت بذلك لأن غالباً من يدخل فيها يهلك ولا يكاد ينجو.

١ – الشورى: «١١».

"مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ"؛ فتأمل في هذه الحال، حتى تعرف ويتضح معنى هذا الحديث لك؛ فرجل خرج في صحراء ليس فيها أحد وليس معه إلا هذه الراحلة، فمعه بعيره وعليه الطعام والشراب، فوقف في مكان ونام ولما استيقظ من نومه لم يجد راحلته، فبحث عنها حتى بلغ مبلغه من العطش في صحراء خالية ليس فيها أحد من النَّاس وقد ذهبت الراحلة بطعامه وشرابه، فكيف يكون حاله؟ تأمل في ذلك وتفكر فيه، وبعد أن تملكه اليأس قال لنفسه: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، لأنه أيقن الموت والهلاك فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَالله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أشد فرحاً من هذا الرجل في هذا الموقف، وجاء في اللفظ الآخر: «فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ» أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ[1].

ففي هذا الحديث من الفوائد: فيه إثبات صفة الفرح لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وصفة الفرح التي يُثبتها أهل السنة عموماً كما قلنا ليست كصفة الفرح عند المخلوقين، ومن الخطأ أن يقال صفة الفرح معناها الرضا، فإن صفة الفرح

١ - أخرجه: مسلم (٢٧٤٧).

تختلف عن صفة الرضا، وإن صفة الرضا لازمة لصفة الفرح لكنها ليست هي ذات الصفة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يفرح، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يرضا، فليست هذه هي هذه، ولكن هذه تلزم من هذه.

وفيه أيضاً من الفوائد؛ ضرب العالم للأمثال ليُقرب الفهم ويفهم السامع، والنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يضرب لأصحابه الأمثال من واقعهم الذي يعيشونه والذي هم فيه، فمثال الرجل هنا هو قريب إلى ما كانوا يعيشونه رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم.

وفيه أيضاً؛ شدة محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لتوبة المؤمن، مع غناه عن ذلك، ويقول ابن القيم رَحِمه الله: والله يحب التوابين، والتوبة من أحب الطاعات إليه، ويكفي في محبتها شدة فرحه بها [١].

١ – انظر: «شفاء العليل» لابن القيم (١/ ١١٦).

باب: في الصدق بالتوبة وقوله عز وجل {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}

١٩١٨ - عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ وَهُوَ يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَى الْعَرَبِ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبٍ وكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ.

وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا.

فسيذكر في هذا الباب الصدق بالتوبة، ويذكر قصة الثلاثة الذين خُلِّفُوا.

فكعب بن مالك رَضِي الله عَنْهُ يذكر قصة عظيمة مؤثرة، وهي قصة طويلة وسنُعلق عليها إن شاء الله، وهي من القصص التي وردت في صدر

الاسلام، وفي مدينة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وفيها فوائد كثيرة جداً، فسنذكر بعض الفوائد ولن نستطيع ذكر جميع الفوائد التي فيها لكثرتها.

فهُنا يُخبر كعب بن مالك رَضِي الله عَنْهُ قصته حين تخلف وتأخر عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في غزوة تبوك.

وأخبر أنه شهد مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم جميع الغزوات، إلا غزوة تبوك فقد تخلف عنها، وذكر وأيضاً أنه لم يشهد غزوة بدر، ليس تخلفاً عنها ولكن غزوة بدر حصلت بتقدير العليم الحكيم سبحانه ولم يعلن النفير لها ولكن المسلمون خرجوا يريدون عير قريش، والعير؛ هي الإبل التي عليها الأحمال، فخرجوا يريدون قافلة لقريش واغتنامها بعد أن أخرجوهم من ديارهم وأخذوا أموالهم فاستغاث أهل العير بقريش ثم حصل اللقاء بينهم والقتال ونصرهم الله، والنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ما عاتب أحداً تخلف عن غزوة بدر.

وليلة العقبة؛ هي الليلة التي حصل فيها بين النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم والأنصار ما حصل من العهود والبيعة على نصرة الاسلام. فبدر فيها فضل عظيم، وبيعة العقبة فيها فضل عظيم أيضاً.

وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَاللهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ.

يُخبر هنا أنه حين تخلف عن غزوة تبوك، وفي ذلك الوقت كان غنياً ميسور الحال، وكانت أوَّل مرة يجمع راحلتين.

فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا.

فكانت تلك الغزوة في حرٍ شديد وسافر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سفراً بعيداً، فإن تبوك كما هو معلوم هي في وسط الطريق بين المدينة والشام، والمفازة هي الأرض التي إذا قطعها الإنسان كان كالفائز لأنه فاز بالنجاة.

فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمْ الَّذِي يُرِيدُ.

فكانت من عادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهي من سياسة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا أراد أن يغزو يُورِّي فلا يُصرح بالمكان الذي سيذهب إليه لكي لا يستعد العدو للقاء.

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابُ حَافِظٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيوَانَ قَالَ كَعْبٌ فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يعني لكثرتهم لا تُجمع أسمائهم في كتاب، فلكثرة المسلمين ولعدم وجود ديوان حافظ لجميع من حضر فمن أراد أن يتخلف يظن أنه لن يتذكره أحد.

وَغَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ.

فكانت غزوة تبوك في وقت نضوج الثمار وكثرة الظل، وأصعر؛ يعني أمْيَل، أي أني أميل إليه أكثر من الميل الى الخروج مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا وَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي فَطَفِقْتُ

إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ الله عز وجل مِنْ الضُّعَفَاءِ.

طفقتُ؛ يعني جعلتُ.

فكان يحدث نفسه بأنه قادر على ذلك، فكان يتردد، حتى تجهز الجيش، وأصبح رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ذاهباً إلى تبوك والمسلمون معه، وهو لم يقض من جهازه شيئاً، حتى أسرعوا وابتعدوا، وهَمَّ أن يلحق بهم وتمنى لو أنه فعل ولكنه لم يفعل، ثم بعد أن ذهب من ذهب وبقي من بقي كان كلما أراد أن يخرج في النَّاس فلا يرى في المدينة إلا رجل من المنافقين مغموس وغارق في النفاق، أو رجل ممن عذره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكًا.

لم يتذكره النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لكثرة المسلمين في ذلك الوقت، والذين تخلفوا في هذه الغزوة كانوا بضعاً وثمانين، وكلهم كان يظن أن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لن يتذكرهم لكثرة النَّاس.

فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِـ (تَبُوكَ) مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ الله حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ.

فتذكره النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، والبُرد هو كساء أسود مُربع، وعطفا الرجل ثما جانبيه من رأسه الى قدمه، أي قال حبسه ما معه من الزينة فما أراد أن يخرج فيفسد هذه الزينة التي عنده.

فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِئْسَ مَا قُلْتَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا فيه أن الرجل يدفع عن أخيه المؤمن إذا علم عنه خيراً ويذكر ما يعلمه عنه من الخير.

فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

فبينا؛ يعني بينما. مُبيضا؛ أي يلبس البياض. يزول به السراب؛ أي لا يتضح للناظر. لمزهُ؛ أي عابه.

فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيلَ لِي إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ.

قافلاً؛ أي عائداً، وراجعاً. بثِّي؛ الحزن والتعب يقال له البث. أظلَّ قادماً؛ يعني اقترب من الوصول إلى المدينة. فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ؛ يعني يحدث نفسه بما سيكذب على النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى ينجو من سخطه.

حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَصَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا.

وهذا حال المؤمن يعلم أنه لا ينجو إلا بالصدق مع الله والصدق مع النَّاس، ولا يمكن أن ينجو المؤمن إلا بالصدق مع الله والصدق مع النَّاس، فالصدق منجاة، والكذب مهلكة

وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ.

وهذه سُنَّة؛ فالقادم من السفر يصلي في المسجد ركعتين قبل أن يذهب إلى بيته، وفيها لطيفة: وهي أن العبد إذا أقبل من السفر أقبل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قبل أن يُقبل على أهل بيته، وفيه إشارة إلى أن لسان حال العبد كأنه يقول؛ يا ربي رغم اشتياقي إلى أهلي فأنا إليك أشوق، وحبي لك أكبر، ولا يشغلني شوقي إلى أهلي عن الإقبال عليك يا رب، وهذا أيضاً يُستفاد من حديث آخر وهو أن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أمر الرجل إذا تزوج، أن يصلي بزوجته ركعتين وهذا قبل أن يحصل بينهما ما يحصل بين المرء وزوجه في تلك

الساعة، فيبدأ بالصلاة ويقبل على الله قبل أن يُقبل على امرأته، فلا بد أن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أحب إليك مما سواه.

ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله.

فجلس رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم للناس فجاءه الذين تخلفوا عن الغزوة وكلن يحلف ويقدم عُذره، وهذا فيه أن الإنسان يكفيه الظاهر والعلانية، وليس مسؤولاً عن التفتيش في السرائر فالسرائر حُكمها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى والعباد حُكمهم على ما يظهر لهم من النَّاس.

حَتَّى جِئْتُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَ فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ.

فلما جاء كعب بن مالك رَضِي الله عَنْهُ تبسم له النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ولكن تبسمه كان تبسم الغضبان، ثم سأله عن سبب تخلفه، وقال: أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؛ ابتعت أي اشتريت فهي تُطلق على ما يفعله البائع، وتُطلق أيضاً على ما يفعله المشتري، والظهر يُراد به الدابة التي يركبها للخروج معهم.

قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللهِ وَاللهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ.

وهذا يدل على صدق كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإنه قدم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ما يوضح صدقه، والذي منعه أن يعتذر بالكذب هو علمه بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مطلع على أقواله وأعماله، ويعلم سريرته، فلو كذب فإنه يوشك أن يفضحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فصدقه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيما أخبر به وفيما كان يعتقده، فهو يعتقد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى سيُخلف عليه خيراً أي ستكون العاقبة خيراً له لصدقه، وهكذا المؤمنين يعتقدون أن صدقهم مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لا تكون عاقبته إلا خيراً للعبد في دينه وفي نفسه وفي أهله وفي ماله.

فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ قَالَ فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ قَالُوا نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ قَالَ قُلْتُ مَنْ هُمَا قَالُوا مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ قَالَ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ قَالَ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

فلما خرج كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لحق به بعض النَّاس يلومونه لأنه لم يعتذر كما اعتذر المخلفون، وكأنهم كانوا يعلمون بكذبهم، ومع ذلك يلومونه بأن لو كذبت فاعتذرت كما فعل غيرك فإن هذا الذنب سيُغفر لك لأجل استغفار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لك، فما زالوا يؤنبونهم ويكررون عليه هذا الكلام حتى همت نفسه بأن ترجع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيُكذب نفسه ويقول عندي من الأعذار كذا وكذا، ثم سألهم عمن قال مثل قوله، فذكروا له رجلان مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ

الْعَامِرِيُّ، وفي بعض النُّسخ: العَمْري من بني عمرو، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ رَضِي الله عَنْهُما.

قَالَ وَنَهَى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ.

وهذا فيه مجانبة من خالف السُّنَّة، وبهذا يستدل أهل العلم على جواز هجر من خالف السُّنَّة إما ببدعة أو معصية ظاهرة، أو فسوق، فاسْتدل بهذا أهل العلم على مشروعية مجانبة أهل الأهواء والبدع والمعاصي والفسوق، وبوب عليه أبو داود رَحِمه الله في سُننه: «باب مجانبة أهل البدع»، وكذلك فيه أن النَّاس تبعٌ للإمام إن أمر بذلك، فيجب عليهم أن يطيعوه إن أمر بذلك، أما إذا لم يأمر بذلك فالمسألة إن كانت راجعة إلى ابتداع وإلى فسوقٍ ظاهر فالإنسان يجب عليه أن يجتنب أهل البدعة وأهل الفسوق، ولكن يتأكد الأمر مع أمر ولي الأمر بذلك، ويجب على الرعية طاعته في ذلك إن أمر به ولا يجوز لهم أن يخالفوه، وهذا الذي فعله الصحابة رَضِي الله عَنهُم.

وَقَالَ تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِيَ الْأَرْضُ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ.

وهذا فيه البكاء على المعصية، فمن حصلت منه معصية فيراجع نفسه والبكاء على حصول الذنب والمعصية هذا من سمة أهل الإيمان وأهل الخير.

وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا.

وهذا فيه ترك رد السلام على المُخالفين، قال الخطابي رَحِمه الله في: «معالم السنن»: وفيه دلالة على أنه لا يُحرج المرء بترك السلام على أهل الأهواء والبدع. وقال المُهلَّب: ترك السلام على أهل المعاصي بمعنى التأديب سُنَّة ماضية بحديث كعب بن مالك.

ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

وهذا في أن مسارقة النظر في الصلاة لا تبطلها.

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذلك مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشدتك بِاللهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قَالَ فَسَكَتَ فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

تَسَوَّره بمعنى علاه، وأنه تسلق الجدار ودخل إلى البستان، وهذا فيه جواز دخول بستان القريب أو الصاحب الذي تعلم أنه لا يُغضبه ذلك ولا يُزعجه، قال النووي رَحِمه الله: بشرط أن يعلم أنه ليس له هنالك زوجة مكشوفة ونحو ذلك.

وأبو قتادة رَضِي الله عَنْهُ ليس ابن عمه من جهة أخو والده، ولكنه قريب له من جهة الأب.

وفعل أبي قتادة هذا فيه تقديم طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على ما يكون في النفس من مودة النَّاس ومحبتهم، فقد نهاهم النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عن الكلام معه، فطاعة لله ولرسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يرد عليه السلام، وفيه أيضاً طاعة الإمام اذا أمر بمثل هذا.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ فإِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ وَكُنْتُ كَاتِبًا فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ قَالَ فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا وَهَذا أَيْضًا مِنْ الْبَلَاءِ.

نبط الشام؛ هم الفلاحون، وملك غسان قيل اسمه جَبَلَة بن الأيهم.

فسبحان الله قد يجتمع على الإنسان البلاء من عدة أنحاء والمؤمن الصادق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُثَبِّتُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قلبه، ويجعل له برهاناً ونوراً في قلبه يُبصِرُ به الحق، فلا يحيد ولا يزيغ إلا ما شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ولذلك يوسف عليه الصلاة والسلام لما جاءته امرأة العزيز قال تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(١)} {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢)} فلِما قام في قلبه من التوحيد والإيمان صرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى تلك الفتنة،

١ – يوسف: «٢٣».

٢ – يوسف: «٢٤».

وهكذا حال أهل الإيمان؛ يصرف ويبعد عنهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الفتن، ويجعل لهم مخارج من تلك المضايق، ولذا لو كادتهم الأرض والسماوات ومن فيهن لجعل الله لهم من بينهن مخرجاً.

فَتيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا.

أي قصدت التنور فأحرقت كتاب ملك غسان بها.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنْ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي فَقَال إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَك قَالَ فَقُلْتُ أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ قَالَ لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا، قَالَ فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِك قَالَ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِك فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِي هَذَا الْأَمْرِ قَالَ فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَهُ يَا رَسُولَ الله إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ قَالَ لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّك فَقَالَتْ إِنَّهُ وَالله مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ.

استلبث؛ يعني أبطأ.

فلا تَقْرَبَنَّها؛ هذا كناية عن الجماع، لم ينههم النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عن الكلام والخدمة فقط نهاهم عن الجماع هذا في البداية.

وقول كعب بن مالك رَضِي الله عَنْهُ لزوجته الحقي بأهلك؛ هذا فيه أن من قال لزوجته الحقي بأهلك أو نحوها من الألفاظ فإنها لا تفيد الطلاق ما لم ينوه.

وَوَالله مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

وهذا حال أهل الإيمان كما قال ابن مسعود رَضِي الله عَنْهُ: "إن المؤمن يرى ذنبه كجبلٍ فوق رأسه يوشك أن يقع عليه". فيرى الذنب فيتعاظمه، وتعاظم الذنب هو لأجل ما يقوم في القلب من تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فمن عظم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى تعاظم عنده الذنب ولو كان يسيراً في أعين النَّاس، لأنه لا ينظر إلى ذات المعصية وينظر إلى من عصاه، فقد عصى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وهو مطلع على السرائر.

قَالَ فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِك فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ قَالَ فَقُلْتُ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ قَالَ فَلَبِثْتُ بِذَلِك عَشْرَ لَيَالٍ فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا قَالَ ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَباحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَها الله

عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ.

بما رحبت؛ أي بما اتسعت، والرحب هو السعة، والمراد أنها قد ضاقت علي مع وسعها فالأرض واسعة ومع ذلك أرى أنها ضيقة.

وقيل أن الصارخ هو؛ حمزة بن عمرو.

أوفى؛ يعني صعد. وسلع؛ هو جبل معروف في المدينة.

قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ قَالَ فَآذَنَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِتَوْبَةِ الله عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى على الْجَبَلَ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرَسِ.

فلما سمع البشارة خر ساجداً لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وهذا فيه مشروعية السجود شكراً لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على النعم.

فرساً؛ أي على فرسه.

فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا.

وهذه تُسمى؛ «الخُلْعَة» عند العرب أنه يخلع الثوب ويهديه لشخصٍ ما إما لأجل بشارة كما حصل مع كعب، أو لأجل أمر قد فرح به ونحو ذلك، وهي عندهم أن يخلع ثيابه ويعطيه أكمل مما لو أعطاه مما في بيته من ثياب، وطبعاً هذا لا يعني أنه خلع ثيابه أمامه وإنما استعار الثوبين ثم أعطاه الثياب.

فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لتهنك تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ.

أَتَأَمَّمُ؛ أي أقصدُ.

وهذا فيه مشروعية تهنئة العبد إذا تاب الله عليه وكذلك فيه مشروعية أن يُهنأ العبد إذا دخل في الاسلام، ومشروعية أن يُهنأ الإنسان اذا رأينا عليه نعمة ظاهرة، وفيه مشروعية أن يكون الأمير أو الإمام أو العالم في مكانٍ بارز.

فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي وَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ قَالَ فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ يَقُولُ

أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، قَالَ فَقُلْتُ أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَقَالَ لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

فهذا خير يوم عندما تأتي البراءة والبشارة من رب العالمين، لذلك سأل رَضِي الله عَنْهُ أَمِنْ عِندكَ يا رسول الله أم من عِند الله؟.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حتى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ قَالَ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ قَالَ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قَالَ فَقُلْتُ فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ.

فالذي كان من أمره ما سببهُ؟؛ فالتخلف ليس عن الغزو فقط، بل انظر إلى ما هو أعظم من ذلك انظر إلى مخالفة أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ففيه فتنة على العبد، حتى أنه قد يُفتن في دينه، لذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [1]} فليحذر العبد كل الحذر من مخالفة أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

١ – النور: «٦٣».

وَسَلَّم أن يكون ذلك سبباً لحصول الفتنة له في دينه أو في دنياه، نسأل الله العفو والسلامة.

أنخلع من مالي؛ أي أخرج من هذا المال. فأتصدق به كله، فنصحه النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بالأفضل والأكمل وهو أن يمسك بعض ماله.

قَالَ وَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّ الله إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ.

وهذا فيه أن الصدق منجاة، والكذب مهلكة، فمن صدق مع الله وصدق مع عباد الله فقد نجا بإذن الله، ومن اعتاد أن لا يصدق فيما بينه وبين النَّاس فلا يؤمن عليه من الكذب فيما بينه وبين الله والعياذ بالله.

قَالَ فَوَالله مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ الله فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي الله بِهِ.

أبلاني الله؛ أي أنعم علي، لأن البلاء يأتي بمعنى الخير ويأتي بمعنى الشر، فهو يقول أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أنعم عليه بصدق الحديث، ووالله إنها لنعمة أن تعلم ويأتيك الخبر من السماء أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد قبل توبتك.

وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا.

وهذا فيه المداومة على الطاعة.

وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيَ قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} حتى بلغ {إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} حَتَّى بَلَغَ {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} قَالَ كَعْبٌ وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا إِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ وَقَالَ اللهُ عز وجل {سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.

لأن الكذب كما قلنا مهلكة والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، واستمع إلى ما أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في اللذين كذبوا في اعتذارهم وحلفوا بالله كذباً،

ولكن الله سميع بصير، عليم بذات الصدور، فنجا الذين صدقوا بصدقهم، وأخزى الكاذبين، فتأمل فيما قاله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فيهم، فهذا جزاء الكذب نسأل الله السلامة والعافية.

قَالَ كَعْبٌ كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى الله عز وجل فِيهِ فَي ذَلِكَ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ الله مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنْ الْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.

الآية: «وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا» وفي الحديث كان يذكر كعب رَضِي الله عَنْهُ تخلفه وتخلف صاحباه عن غزوة تبوك فتخلفهم هذا بمعنى أنهم تأخَّروا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، أما كلمة «خُلِّفُوا» في الآية فمعناها أُخِّروا، أي أخر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى إظهار توبتهم حتى يمتحنهم حتى يُعظم لهم الأجر في ذلك من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

باب: قبول التوبة ممن قتل مائة نفس

١٩١٩ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله عز وجل فَاعْبُدْ الله تعالى مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى الله عز وجل وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَاءَ بِصَدْرِهِ.

هذا الباب: باب قبول التوبة ممن قتل مائة نفس؛ أي أَنَّهُ سوف يوضح في هذا الباب أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقبلُ توبة من قتل مائة نفس، وهذا لا شك

أَنَّهُ عدد عظيم، والحديث الذي تحت هذا الباب يروي فيه النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قصة رجل أتى ذنباً عظيما من كبائر الذنوب، وقد حرم الله تعالى قتل النفس بغير حق، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا [١]} وقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ [٢]» وقال صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا [٣]» وكما في قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا [٤]» والأحاديث كثيرة في هذا الباب، والتي تكلم فيها النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عن هذا الإثم العظيم، الذي فيه استحلال قتل الأنفس، وكذلك من قتل نفساً لأجل شهوة، أو عداوة، أو غير ذلك من أسباب هذا الجرم العظيم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد أخبر في كتابه أَنَّهُ يغفر الذنوب جميعاً، وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعالى في كتابه أن

---

١ - النساء: «٩٣».

٢ - أخرجه: الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي (٣٩٨٧)، وصححه الألباني في: «صحيح الترمذي» و «صحيح سنن النسائي».

٣ - أخرجه: البخاري (٣١٦٦).

٤ - أخرجه: البخاري (٦٨٦٢).

هنالك ذنباً واحداً هو الذي لا يُغفر ألا وهو الشرك بالله عز وجل فقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا [١]} وهذا فيه أن من جاء بالتوحيد الذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به، ثُم اقترف ما اقترف من الذنوب وندم عليها ورجع وأناب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقبل توبته، ولذا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الحديث الصحيح: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً [٢]» أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني.

وتأمل معي بارك الله فيك في هذه القصة العظيمة، وكيف أن هذا الرجل قد جاء بهذا الذنب العظيم، وأن هذا الذنب كما أسلفنا هو من عظائم الذنوب التي حرمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وهو لم يفعل هذا الذنب مرة واحدة، بل فعله مائة مرة، نسأل الله السلامة والعافية.

---

١ – النساء: «٤٨».

٢ – أخرجه: الترمذي (٣٥٤٠) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في: «صحيح الترمذي».

فهذا الرجل قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أراد أن يتوب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بعد أن عاث في الأرض فساداً، فلما أراد أن يتوب دَلَّتْه فطرته على أن يبحث عمن يدله على الطريق الصحيح، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب، والراهب هو العابد، فأتاه فقال له أَنَّهُ قد قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فهو يسأل عن المخرج من ذلك، فقال له الراهب لا، أي ليست له توبة، فقتل الراهب فكمل به المائة، فهذا الرجل لما أراد أن يتوب سأل وبحث عن أعلم أهل الأرض وفعله هذا قد دلته عليه فطرته لأن العلماء بهم يُهتدى في الظلمات، وبهم بعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى المخرج من الظلمات، ومن طريقهم يُعرف الحق والباطل، وهم شهداء وأُمناء على دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يدلون النَّاس على ما فيه صلاحهم ورشادهم، فلما دُلَّ على عابد ولم يُدلَّ على عالم فلم يُحسن هذا العابد في الجواب، ومن الخلل الذي يوجد عند كثير من المسلمين أَنَّهُ يأخذ دينه عمن كل من هب ودب، ويظن أن كل من تنسك وتعبد في مسجد أَنَّهُ يصلح لأخذ الدين عنه، ويظن أن كل من ظهر على الشاشات والقنوات يصلح أن يؤخذ الدين عنه، فلا ليست القضية هكذا، ويقول ابن سيرين رَحِمه الله: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» وتأمل في الفتنة التي حصلت بسبب هذه الفتوى فإنه لما سأل الراهب

العابد وأخطأ في الجواب حصلت فتنة على السائل وفتنة على المسؤول، أما السائل فقط اقترف ذنباً جديداً فكمل المائة بقتله، وأما المسؤول فقد قُتِل، وإلا فلو قال لا أدري لكُفي المؤونة ولكنه تجاسر فأفتى بغير علم فحصلت الفتنة وهذا مصداق قول النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إِنَّ الله لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا [١]» فيُضِلون، وكذلك هم يَضِلون، نسأل الله السلامة والعافية.

وما زالت هذه النفس تُحَدِّث هذا القاتل بالتوبة والرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وهذا فيه من علامات الصدق، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجلٍ عالم فسأله هل له من توبة؟ فقال له نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ أي ما الذي يستطيع أن يمنعه من التوبة لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يغفر الذنوب جميعاً.

وأنا هنا أُخاطب نفسي وكل من يسمعني: كل من اقترف سيئة أو ذنب، نقول له من يحول بينك وبين التوبة؟ ومن يمنعك من التوبة؟ بل ما الذي يؤخرك عن التوبة؟ ألا تُراجع نفسك، ألا تُحدث نفسك بالرجوع إلى الله

---

١ - أخرجه: البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

سُبْحَانَهُ وَتَعالى؟ ما من عبد يخلو من معصية فهذه طبيعة البشر ولا بد من حصول المعصية لكن لا بد من حصول التوبة والرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لأن هذا واجب على كل مسلم أن يتوب ويرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ولا يوجد ذنب أبداً لا يغفره الله إلا الشرك، والشرك لا يُغفر إلا بأن يدخل الإنسان في دين الإسلام، وتأمل في هذا الحديث تأملاً جيداً: أتى إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رجلٌ فقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً -أي لا صغيرة ولا كبيرة- إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ الله، قَالَ: «نَعَمْ ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ الله لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ» ، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: الله أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى. أخرجه البزار، والطبراني[١]، وقال المنذري إسناده جيد، وصححه الألباني رَحِمه الله.

فهذا العالم دل هذا الرجل على أن يُفارق الأرض التي هو فيها، وأن يذهب الى أرضٍ يُعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فيها؛ وهذا فيه الحرص على الرفقة الصالحة، والبعد عن رفقة السوء ضِمناً.

---

١ – واللفظ للطبراني في: «الكبير» (٧٢٣٥). وانظر: «الصحيحة» للألباني (٣٣٩١).

وكذلك فيه؛ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يرحم أهل الأرض التي فيها ظهور عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

وفيه أيضاً؛ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يجعل النجاة من الفتن بأن يكون الرجل في الأرض التي يُعبد فيها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وأنه لا يؤمن عليه من العذاب ومن الفتن إذا كان في الأرض التي لا يُعبد فيها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أو كان فيها الفساد ظاهراً.

وقوله: «فاعبد الله معهم» فيه إشارة إلى أهمية الجماعة، والحرص على ما في الجماعة، فإن الجماعة رحمة، وإن الفرقة عذاب.

وفي طريقه إلى الأرض التي دله عليها العالم أتاه الأجل فمات، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؛ فظاهر الرجل أَنَّهُ لم يعمل خيراً قط والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من رحمته عز وجل كما جاء في الحديث الآخر: «فَأَوْحَى الله إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى الله إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ [١]» لأن الرجل قد يكون في أرض السوء فيآخذه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على البقاء فيها، وكذلك قد يُقال في مثل هذا المقام أن هذا كان في شرع من قبلنا وإلا فإن توبته عمل، وخروجه من أرض السوء عمل،

١ - أخرجه: البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

ونيته الصادقة عمل، فهذا كله عمل صالح وهو خير وكله يكتب به الأجر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وتبديل السيئات إلى حسنات، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يسر له رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة.

ومن فوائد هذا الحديث على اختصار:

- فيه البحث عن أهل العلم للفتوى.
- وفيه أن الجاهل لا يجوز له أن يفتي النَّاس ولو كان أعبد النَّاس.
- وفيه أن الفتوى بغير علم فتنة للسائل والمسؤول.
- وفيه أن الجهل سبب للوقوع في المعاصي والذنوب، بل والفتنة في الدين، وهذا مثل حال الخوارج قال عنهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: سفهاء الأحلام، فلا علم لديهم بل كلهم أهل جهل وعدم علم في الدين.
- وفيه الحرص على البحث عن الحق إذا لم يتبين له، فلا زال يسأل.
- وفيه أن الصحبة الصالحة من أعظم أسباب الصلاح، وأن الصحبة السيئة من أعظم أسباب الفساد.
- وفيه أن وجود الرجل في الأرض التي يُطاع فيها الله من أسباب النجاة من الفتنة والعذاب، وأن وجوده في البلد التي تظهر فيها المعاصي والفسوق من أسباب العذاب والفتنة.

- وفيه الهجرة من البلد التي يخاف فيها على نفسه والفتنة في دينه.
- وفيه الحث على الصدق في التوبة.
- وفيه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُيسر للتائبين أسباب النجاة.

باب: من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه

١٩٢٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ الله عَلَيْهِ.

هذا الباب تحدثه حديث عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يخبر فيه أن للتوبة أمداً، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُمهّل إلى حصول هذا الأمد، وذكر أن أمد التوبة هو إلى طلوع الشمس من مغربها، وهذه من علامات قيام الساعة في آخر الزمان فتخرج الشمس من مغربها، فإذا كان ذلك لا يقبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى توبة تائبٍ وقتها لأنها إيذان لقيام الساعة.

وقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ،

وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا[١]» الآيَة [٢].

وقال صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في الحديث الآخر: «وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا [٣]» فهذا الأمد الذي ينتهي به قبول التوبة، وهنالك أمد آخر وهو؛ إذا بلغت الروح الحلقوم، أي إلى الحلق، فقد قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ [٤]» والغرغرة؛ أن تصل الروح إلى الحلق أي قبل أن تخرج من الجسد نسأل الله السلامة والعافية وحُسن الخاتمة [٥].

قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا

---

١ – أخرجه: البخاري (٦٥٠٦).

٢ – الأنعام: «١٥٨».

٣ – أخرجه: أبو داود (٢٤٧٩). وصححه الألباني في: «صحيح أبي داود».

٤ – أخرجه الترمذي (٣٥٣٧) وقال: «حديث حسن غريب» وحسنه الألباني في: «صحيح الترمذي»

٥ – قال النووي رَحِمه الله في: «شرح مسلم» (٢/ ٤٥):وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ الله عَنْهُمْ عَلَى قَبُولِ التَّوْبَةِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ.

لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [١]} فبادر وانقذ نفسك بتوبة قبل أن يحضرك الموت، فكلنا مفارق هذه الدنيا لا محالا، وكلنا سيلقى الله رب العالمين، {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ «٢٦» وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ «٢٧»} [٢].

بادر بالتوبة فأيام العمر قليلة، واللذة التي فيها تنقضي وتنتهي، وأما اللذة التي تبقى وتدوم هي لذة الآخرة حين تدخل جنة رب العالمين، وحين يُكرمك الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بالنظر إلى وجهه الكريم سبحانه، اسأل الله أن يرزقني وإياكم ذلك، هذه هي اللذة وهذه هي أعظم اللذات ولا يوجد لذة أعظم منها أن يكرمك الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن تنظر إلى وجهه الكريم، اسأل الله من فضله لي ولكم.

---

١ – النساء: «١٨».

٢ – «الرحمن»

باب: قبول التوبة من مسيء الليل والنهار

١٩٢١ – عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا.

فهذا باب فيه ذكر قبول التوبة ممن يسيئ في الليل أو ممن يسيئ في النهار.

فالذنب حاصل من العبد لا محالا، إما في ليله أو في نهاره، وكما سبق وذكرنا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى رغم كثرة ذنوب عباده فإنه هو الذي يتودد إليهم ويتحبب إليهم سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فهم يُدبرون وهو الذي يُقبل عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعالى، يعصون أمره وينعم عليهم فيُمهلهم، ويخالفون ما أمر به ويقتحمون ما نهى عنه ومع ذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يمهل عباده ويرجئ عقوبتهم ويؤخرها، فلعل عبده المسيء أن يرجع إليه، ولعل عبده المذنب أن يُقبل عليه، وهذا كله مع غناه سُبْحَانَهُ وَتَعالى عن كل العباد وعن عبادتهم.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ وهذا فيه إثبات صفة اليد وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى له يد حقيقة لكنها ليست كَيَدِ المخلوقين تعالى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى علواً كبيراً، فلا يُتَوَهَّم أن يده سُبْحَانَهُ وَتَعالى تشابه أيدي المخلوقين معاذ الله، وهذه من

صفات الكمال لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وقد وردت في عدة أحاديث عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم.

وهذا البسط لليد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى نُثبته ونؤمن به دون الخوض في كيفيته فلا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وكذلك صفة اليد لا يعلم كيفيتها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى كما قال تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا [1]} والمراد من هذا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى يفعل ذلك ليقبل عباده عليه، ويُقبلوا إليه بالتوبة والرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من جميع الذنوب والمعاصي، ثم أخبر النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بالأمد فقال: «حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»؛ وسبق الكلام فيه.

---

١ – طه: «١١٠».

باب: في غفران الذنوب

١٩٢٢ - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ.

أي هذا باب فيه ذكر غفران الذنوب.

ذكر الحديث وفيه يحلف النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بالذي نفسه بيده، وهو الله تبارك وتعالى، وفيه أن الرجل له أن يحلف ولو لم يُستحلف، لبيان عظم ما سوف يتحدث به.

وفيه إثبات صفة اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على الوجه الذي يليق به دون مشابهة للمخلوقين.

وفيه أن لو قُدِّرَ أنكم لا تُذنبون لذهب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بكم، وهذا من طبيعة البشر وأن الإنسان لا بُد وأن يُواقع المعصية لا محالا.

وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ؛ ليس هذا ترغيباً في فعل الذنوب، ولكن هذا إخبار في الحقيقة، فالعباد لا يخلون من ذنبٍ ومن معصية ولا بُد، وهذا فيه حِكم عظيمة من رب العالمين تبارك وتعالى، يقول شيخ الاسلام بن تيمية عليه رحمة الله عز وجل: «وَلِهَذَا تَجِدُ التَّائِبَ الصَّادِقَ أَثْبَتَ

عَلَى الطَّاعَةِ وَأَرْغَبَ فِيهَا وَأَشَدَّ حَذَرًا مِنَ الذَّنْبِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يُبْتَلَوْا بِذَنْبٍ [١]»؛ فالذي لم يُبتلى بالذنوب وأكثر منها ليس كمن ابتلي بالذنوب ثم تاب، فهذا الذي ابتلي بالذنوب وفعل ثم تاب يعرف لذة التوبة بخلاف الذي قل أن يصدر منه ذنب.

ويقول ابن القيم رَحِمه الله وهو كلام نفيس جداً فتأمله: «وهو سبحانه لمحبته للعفو والتوبة خلق خلقه على صفات وهيئات وأحوال تقتضي توبتهم إليه واستغفارهم وطلبهم عفوه ومغفرته [٢]» لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى المثل الأعلى، لكن تأمل لو كان الطفل الصغير عنده كل ما يغنيه عن والده، إذاً لفُقِدت علاقة كبيرة بين الولد ووالده، فلو كان يستطيع أن يقضي حوائجه ويذهب ويأتي ولا يحتاج إلى والده فحينها تُفقد العلاقة بين الولد والوالد، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى جبل هذا الطفل على حاجة إلى الأب فبُنيت عِلاقة وهي مسألة دقيقة بين الأب وابنه، وكذلك بين الوالدة وولدها، ولله عز وجل المثل الأعلى وإنما هذا لتقريب الفهم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى جَبَلَ العباد وفطرهم على أحوال وهيئات تقتضي حصول الذنوب والمعاصي، وتأمل في قول ابن القيم رَحِمه الله

---

١ - انظر: «منهاج السُّنَّة» لابن تيمية (٢/ ٤٣٢).

٢ - انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر» لابن القيم (١/ ١١٦).

الله: «فلو لم يقدر الذنوب والمعاصي فلمن يغفر وعلى من يتوب وعمن يعفو ويسقط حقه ويظهر فضله وجوده وحلمه وكرمه وهو واسع المغفرة فكيف يعطل هذه الصفة أم كيف يتحقق بدون ما يغفر ومن يغفر له ومن يتوب وما يتاب عنه فلو لم يكن في تقدير الذنوب والمعاصي والمخالفات إلا هذا وحده لكفى به حكمة وغاية محمودة[١]».

باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه

١٩٢٣ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا قَضَى الله الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي.

فهذا باب فيه بيان سعة رحمة الله تعالى وأن رحمة الله تغلب غضب الله تبارك وتعالى.

أي لما خلق الله الخلق كتب في كتابه أي في اللوح المحفوظ على نفسه والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة أَنَّهُ يوجب على نفسه ما شاء، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعالى لا يجب عليه شيء وإنما يوجب على نفسه تفضلاً

١ – انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر» لابن القيم (١/ ٢٢٣).

وإنعاماً على خلقه، بخلاف ما قالته المعتزلة الذين قالوا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يجب عليه أن يفعل ما هو أصلح لعباده ويجب عليه أن يفعل ما فيه نفعهم وأشياء كثيرة أوجبوها على الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ليس هذا مجال الكلام فيها، وأما أهل السُّنَّة فيقولون أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يوجب على نفسه ما شاء تفضلاً وإنعاماً على خلقه لا لأنه واجب عليه عز وجل.

فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي؛ أي إن رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعالى غالبة لغضبه، وهذا من كماله عز وجل، وجاء في رواية: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي[١]» وهذه روايات صحيحة، وهذا الحديث فيه إثبات أن لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى نفساً كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في كتابه: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ [٢]} قال ابن خزيمة رَحِمه الله: «فَاللهُ جَلَّ وَعَلَا أَثْبَتَ فِي آيٍ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّ لَهُ نَفْسًا، وَكَذَلِكَ قَدْ بَيَّنَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لَهُ نَفْسًا، كَمَا أَثْبَتَ النَّفْسَ فِي كِتَابِهِ، وَكَفَرَتُ الْجَهْمِيَّةُ بِهَذِهِ الْآيِ ، وَهَذِهِ السُّنَنِ، وَزَعَمَ بَعْضُ جَهَلَتِهِمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَضَافَ النَّفْسَ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى إِضَافَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، -يعني كما يُقال بيتُ الله، وناقة الله، ونحو ذلك-

---

١ – عند البخاري (٧٤٢٢).

٢ – آل عمران: «٣٠».

وَزَعَمَ أَنَّ نَفْسَهُ غَيْرُهُ، كَمَا أَنَّ خَلْقَهُ غَيْرُهُ ، وَهَذَا لَا يَتَوَهَّمُهُ ذُو لُبٍّ وَعِلْمٍ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ [١]».

قال ابن بطة العُكبري رَحِمه الله: «فَقَدْ عَلِمَ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنَّ كِتَابَ الله حَقٌّ، وَمَا قَالَهُ فِيهِ حَقٌّ، وَأَنَّ لله نَفْسًا، وَأَنَّ نَفْسَهُ لَا تَمُوتُ [٢]».

والحديث فيه أيضاً: أن صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى تتفاضل، فبعضها أفضل من بعض، فرحمته سُبْحَانَهُ وَتَعالى أفضل من غضبه، وهذه هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وفيه إثبات صفة الرحمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى كما قال سبحانه: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [٣]}.

وفيه إثبات صفة الغضب لله عز وجل، وهذا كله ليس كصفات المخلوقين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فالمخلوق قد يحمله التَّحامل والحقد والحسد وما يكون في النفوس ومكامنها على أن ينتقم لنفسه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عزيز عن ذلك كله، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لو غضب على من غضب من خلقه فلأجل ما يكون منه

---

١ – انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (١/ ١٩).

٢ – انظر: «الإبانة الكُبرى» لابن بطة (٦/ ١٤٩).

٣ – الأعراف: «١٥٦».

ولأجل ما يعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعالى من حاله، وهذا لا يكون إلا بعدلٍ منه عز وجل.

١٩٢٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ لله مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخَّرَ الله تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى خلق مائة رحمة، كما جاء في صحيح البخاري: «إِنَّ الله خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً [1]» وهذه الرحمة المذكورة في هذا الحديث ليست من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى له صفة الرحمة لكن هذه الرحمة المخلوقة التي تكون بين النَّاس، لأن صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ليست مخلوقة، فالرحمة نوعان:

الأُولى: الرحمة التي هي صفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

الثانية: الرحمة التي جعلها بين خلقه فبها يتراحمون ويعطفون على بعضهم بعضاً.

١ - أخرجه: البخاري (٦٤٦٩).

وإذا كان ما يحصل بين المخلوقين من التراحم رحمة جزء واحد، فكيف لو كان هنالك جزآن أو ثلاثة أجزاء أو أربعة وكيف لو كانت مائة؟ وهذا الحديث فيه دلالة على عظم رحمة الله عز وجل فإذا كانت هذه الرحمة التي بين المخلوقين فكيف تكون رحمة أرحم الراحمين سُبْحَانَهُ وَتَعالى؟ فهي أعظم وأكمل ولله المثل الأعلى.

وحتى تعلم وتتأمل في سعة رحمة الله عز وجل؛ قد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إِنَّ الله يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيقُولُ: أَتعرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: {هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨] »[١] كنفه أي: الستر الذي يستره به، والكنيف هو المكان المستور، فيستره عن النَّاس يوم القيامة، وقد ثبت في حديث الصحيح أن النبي صَلَّى الله

---

١ - أخرجه: البخاري (٢٤٤١).

عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ[١]».

فالله يتودد إليكم بالنعم، ويتحبب إليكم سُبْحَانَهُ وَتَعالى وهو غني عن العالمين، فيُرغبكم بعبادته والإقبال عليه والرجوع عن مخالفة أمره، فهل سننتهي عن غيِّنا ونرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى؟[٢].

---

١ – أخرجه: البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦).

٢ – قال تعالى: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} «الحديد: ١٦».

باب: فيما عند الله تعالى من الرحمة والعقوبة

١٩٢٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنْ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنْ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ.

أي هذا باب فيه ذكر ما عند الله من الرحمة ومن العقوبة.

وهذا الحديث هو كقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في كتابه الكريم: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ «٤٩» وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ «٥٠» [1]} فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هو الغفور الرحيم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عذابه أليم؛ رحيمٌ بمن أطاعه، وعقوبته على من عصاه وخالف أمره.

ودائماً ضع في علمك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى كاملٌ في جميع صفاته، وكماله مُطلق ليس له حد، فإذا ذكرت رحمة الله فهي رحمة لا حدود لها، وإذا ذكرت غضب الله فهو غضب لا حدود له، وإن كان قد كتب على نفسه أن رحمته قد سبقت غضبه، فإذا عرفت هذا عرفت معنى قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنْ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ» فقد يصيبه القنوط، «وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنْ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» فرحمته مُطلقة،

---

١ - «الحِجر».

وغضبه مُطلق ولكن المؤمن يعيش بين جناحي الخوف والرجاء؛ فلا يُغلب جانباً على آخر، فيرجو الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ويخاف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فيرجو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يتقبل طاعاته، ويخاف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يردها عليه وأن يعاجله بالعقوبة، فالمؤمن يعيش بين الرجاء والخوف، ولا يقنط ولا ييأس من رحمة الله، لأنه يعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أعد عقوبة لمن عصاه، ويعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أعد رحمة غلبتها وسبقت غضبه سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول في الحديث الصحيح: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»[1]

باب: لن ينجي أحدًا عمله

١٩٢٧ – عَنْ عَائِشَةَ رَضِي الله عَنها أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى الله أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ.

١ – أخرجه: البخاري (٦٤٨٨).

في هذا الباب بيان أن العمل في ذاته ليس موفياً لما يناله العبد من الجزاء الحسن يوم القيامة، وهو يريد أن يوضح هذا المعنى بالحديث الذي أورده تحت هذا الباب.

النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أمر بالسداد، والسداد هو إصابة الحق، ثم قال: «وقَارِبُوا»؛ أي إن لم تستطع أن تصيب الحق فحاول قدر الإمكان أن تكون قريباً منه، فإما أن تصيب الحق، وإما أن تكون قريباً منه، وكلما كان الإنسان إلى الحق أقرب كان أسلم وأبعد من الانحراف والزيغ فلا بُد من التسديد والمُقاربة، وهذا فيه أيضاً الاتباع وترك الابتداع وفيه ترك التنطُّع في الدين ، وفيه البشارة لمن سار على طريقة النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وتمسك بالسُّنَّة.

ثم قال: «وأبْشِروا»؛ فمن سدد وقارب فليُبشر بما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من الأجر والمثوبة، وحسن الجزاء الذي يجعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لمن سار على ما أمره به ربنا سبحانه.

«فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ»؛ فأعمالنا هي في مُقابل النعم التي يُنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى علينا، وفي مقابل ما يستحقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وما يجب علينا في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وكذلك في حق رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم هي لا توفي حق الوفاء بما يستحقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من العبودية له، فالعبد

حتى ولو كان على الخير فإنه لا يُمكن أن يعمل من الأعمال التي تكون حقيقةً مساويةً أو مقاربة لما يستحقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من العبودية.

«وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ»؛ هذا ليس معناه أبداً ترك العمل الصالح كما قد يتوهمه من لم يبصره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، بل الْمُراد من هذا الحديث؛ أن ما سيعطيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في الآخرة من الجزاء لأهل الإيمان هو في الحقيقة أعظم بكثير جداً مما عمله النَّاس في هذه الدنيا، والعبودية التي تتم من العبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هي عبودية مُستحقة لله عز وجل، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وهذا كافياً حتى لو لم يكن هنالك ثّمَّ مُقابل أو جزاء حسن من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لهذه الأعمال، فكيف والله سُبْحَانَهُ وَتعالى يُعطيك على ما يكون منك من تقصيرٍ في العمل، وقال ابن القيم رَحِمه الله ما معناه: أن من حقه سُبْحَانَهُ وَتعالى على كل أحدٍ من عبيده أن يرضا به رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رسولاً، وأن يكون حبه كله لله، وبغضه في الله، وقوله لله، وتركه لله، وأن يذكر الله ولا ينساه، ويطيعه ولا يعصيه، ويشكره ولا يكفُره، وإذا فعل هذا كله كانت نعم الله عليه أكثر من عمله، بَلْ فِعْلُهُ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ الله عَلَيْهِ، حَيْثُ وَفَّقَهُ لَهُ وَيَسَّرَهُ لَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِهِ، واختصه به على غيره فَهُوَ يستدعي

شُكْرًا آخَرًا عَلَيْهِ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْقِيَامِ فِيمَا يَجِبُ لله تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ أَبَدًا.

فليس ثَمَّ أحد يوفي ما يستحقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من العبودية، وهذا يدخل تحت قوله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا [١]} فلو أردت أن تعبد الله على ما يستحق فلا يمكنك هذا فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى حقه أعظم من أن يُوفى.

«وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى الله أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»؛ فأحب الأعمال الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ما كان دائماً لا ينقطع بل يستمر، فالعمل الدائم أحب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من العمل الذي ينقطع ولو كان كثيراً.

---

١ – طه: «١١٠».

باب: ما أحد أصبر على أذى من الله عز وجل

١٩٢٨ - عن عَبْد الله بْنُ قَيْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنْ الله عز وجل إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ.

يريد في هذا الباب أن يبين أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى صبور، وهذه من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى التي أثبتها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لنفسه، وأثبتها له رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ويُثبتها أهل السُّنَّة والجماعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

فالناس عندهم صبر، بل حتى البهائم والدواب عندها صبر، ولكن المخلوق له من الصبر ما يليق بضعفه وحاله، أما صبر الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعالى فهو صبر يليق بكماله وجماله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعالى وله المثل الأعلى، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أصبر على الأذى من كل من في الوجود.

يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا؛ الند هو المساوي في الرُّتبة والمنزلة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ليس له ند ولا نظير ولا مساوٍ، وليس ثَّمَّ أحد يستحق أن يُصرف له شيء من العبادات التي تُصرف لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ومنه تعلم خطأ كثيرٍ من النَّاس في غلوهم المُفرط في الصالحين، فيدعونهم ويستغيثون بهم، ويسألونهم تفريج الكُرُبات، هذا كله من الضلال المُبين.

وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى كما قال عن نفسه: { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ «١» اللهُ الصَّمَدُ «٢» لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ «٣» وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ «٤»} وهو مُنزه عن الصاحبة، وعن الأولاد، وعن الأنداد، والقول بأن له ولد أو صاحبة يلزم منه حاجة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى إلى غيره، تعالى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عن ذلك علواً كبيراً، فالله سُبْحَانَهُ وَتعالى غني عن العالمين.

قال تعالى: { وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا [١]}.

وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [٢]}.

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ؛ والله سُبْحَانَهُ وَتعالى مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ، وهذا كما أشرنا إليه سابقاً أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هو الذي يتودد إلى عباده ويتحبب إليهم مع غناه عن السابقين واللاحقين، والعبودية الحقَّة تقتضي المبادرة بالعمل الصالح، والإقبال على الله سُبْحَانَهُ

---

١ – الإسراء: «١١١».

٢ – الأنعام: «١٠١».

وَتَعالى كما قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ[1]}.

باب: ما أحد أغير من الله عز وجل

١٩٢٩ - عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ الله عز وجل مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ الله مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ.

١٩٣٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الله يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ الله أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ.

أي هذا باب فيه بيان أَنَّهُ لا يوجد أحد أغير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

فذكر حديث ابن مسعود رَضِي الله عَنْهُ؛ وهذه الغيرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على أن تُنتهك محارمه عز وجل، وهذا كما أشرنا إليه سابقاً أن ذلك لا

---

١ - آل عمران: «١٣٣».

يكون كما يكون عند المخلوقين، فجميع صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مُنزهة عن مُماثلة الخلق ومشابهتهم سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

وفيه إثبات صفة المحبة لله عز وجل على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُحب المدح، والمخلوق يُحب أن يُمدح بما يبدر منه من الأعمال، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُمدح لما يستحقه من المدح، ولما فيه سُبْحَانَهُ وَتَعالى من صفات الكمال والجلال والعظمة، فيُمدح محبةً وتعظيماً وعبوديةً له عز وجل، ولذلك كان مدح الله عز وجل من العبودية له سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ولذا استشعر في قلبك كلما ذكرت مدحاً لله أو قرأت في آية تدل على مدح الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن الله يُحب هذا، فتؤجر على العمل، وعلى فعل ما يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وقصدك أن تفعل هذا لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُحبه.

ومدح الله لنفسه لا شك أَنَّهُ أكمل المدح وأحسنه لعلمه بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعالى ولعلمه بما يستحقه سُبْحَانَهُ وَتَعالى من المدح فلا شك أن مدحه لنفسه قد جاء على وجه الكمال.

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ الله عز وجل؛ وهذا هو الشاهد من هذا الحديث، قال: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ؛ فحرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهو يغار اذا فعل العبد هذه الفواحش، وهذا يورث

العبد ترك الفواحش والمُنكرات لعلمه بأن ارتكابها يترتب عليها غيرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ؛ وهذا يدخل ضمناً فيما سبق من أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يحب العذر ويعذر عباده رغم إساءتهم، ويعطيهم رغم إدبارهم ومُخالفتهم، ويتودد إليهم سُبْحَانَهُ وَتَعالى مع غناه عنهم.

ثُمَّ ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فالمؤمن يغار إذا انْتُهِكَت محارم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى غيرته أعظم.

وبين فيه وجه هذه الغيرة وما هو مُتعلقها وهو أن يأتي المؤمن ما حرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

اسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بمنه وكرمه أن يجعل فيما سبق نفعاً لي ولكم في الدنيا وفي الآخرة، وأن يدخر ثواب الإلقاء والاجتماع، والجلوس، والصبر في موازين الحسنات، وأن لا يجعلنا نخرج بعد إذ سمعنا هذه الأحاديث التي فيها التذكير بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى كما دخلنا.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقول: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [١]} فليس كل أحد تنفعه الذكرى، إنما تنفع أهل الإيمان، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ [٢]} فليس كل أحد يتذكر بالوحي، وإنما يتذكر الذي في قلبه خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وراجع قلبك بين الحين والآخر واحذر أن تركن إلى ما تفعله من العبادات، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى غني عن عبادتك، وليكن قلبك متعلقاً بالله عز وجل، طالباً ما عنده، واجعل ذلك فيه تمام العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مع ذلك واستكانتك وتعظيمك لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وإقبالك عليه، وإدبارك عما لا يحبه الله ولا يرضاه، اسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يجعل ما قلناه يصيب قلوباً واعية، تسمعه وتعقله فتعمل بمقتضاه، ويكون في ذلك النجاة لي ولكم من عذاب الله عز وجل وسخطه وعقابه، وأن يكون هذا سائقاً لي ولكم إلى مرضاة الله وجناته جنات النعيم، إِنَّهُ ولي ذلك، والله أعلم.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١ – الذاريات: «٥٥».

٢ – ق: «٤٥».

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【تطبيق الإذاعة】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【Youtube يوتيوب】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【Tumblr تمبلر】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【Blogger بلوجر】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【Flickr فليكر】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【لعبة كنوز العلم】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 تيك توك TikTok 】

https://tiktok.com/@baynoonanet

【 في كي Vk 】

https://vk.com/baynoonanet

【 لينكدان Linkedin 】

https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية

【 ريديت Reddit 】

https://www.reddit.com/user/Baynoonanet

【 تشينو chaino 】

https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a

【 بنترست Pinterest 】

https://www.pinterest.com/baynoonanet/

【 سناب شات Snapcha 】

https://www.snapchat.com/add/baynoonanet

【 تطبيق المكتبة 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/33uUnQr

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/WNbvqL

【 تطبيق الموقع 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/2Zvk8OS

لأجهزة الأندرويد

ـقريباً بإذن اللهـ

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

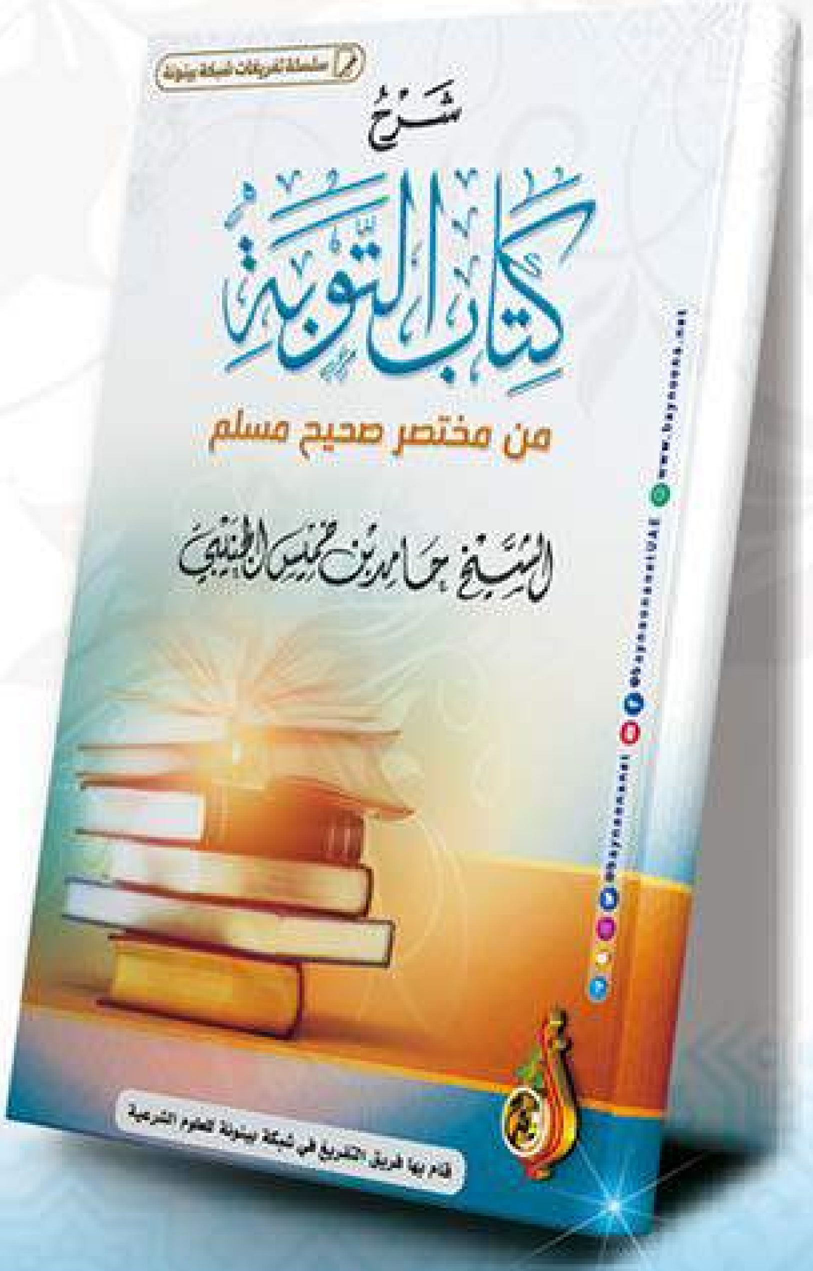

للمزيد من التفريغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat